مجلة مرقس

نظرة خاطفة على مسيرة طويلة

نستسمح قارئنا العزيز في هذا العدد - ولعلها المرة الأولى - أن نحتفل بذكرى تأسيس مجلة مرقس العريقة. هذه المجلة التي ما انقطع صدورها وتواصلت أعدادها منذ أن نشأت سنة ١٩٦٢م كمجلة للشباب والخدام واستمرت هكذا حتى صار عمرها الآن ستين سنة كاملة، وقد صدر خلالها ما يزيد عن ٦٠٠ عدد. ولا يفوتنا أن نُحيِّي بهذه المناسبة ذكرى أهم شخصين بذلا الكثير من الجهد والوقت والعطاء الروحي والعلمي في إدارة هذه المجلة وتدبيرها على مدى هذه السنين كلها، وهما الأب يوحنا المقاري رئيس تحريرها والأب باسيليوس المقاري مدير إدارتها، وقد تنيَّح كلاهما في العام الماضي(١).

الإرهاصات الأولى في تأسيس مجلة مرقس(٢):

كان ذلك سنة ١٩٥٨ حينما تأسست مجلة مرقس للفتيان، وكانت مجلة نصف شهرية، وكان صاحب الامتياز ورئيس التحرير حينذاك الأرشيدياكون دكتور وهيب عطا الله وكيل الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس (فيما بعد نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف التعليم العالي)، وكان مقرها في مبنى الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس. وكانت في الواقع تطويرًا لمجلة مدارس الأحد المصوَّرة للأطفال والفتيان التي كانت تصدر منذ عام ١٩٥٤ كنشرة تابعة لمجلة مدارس الأحد التي يصدرها بيت مدارس الأحد بالقاهرة.

تأسيس مجلة مرقس للشباب والخدام:

في سنة ١٩٦٢ ترهب الدكتور وهيب عطا الله بدير المحرق، وتنازل عن كونه صاحب

---

(١) الأب باسيليوس المقاري تنيَّح في أول يناير ٢٠٢١ والأب يوحنا المقاري في ٣ يوليو ٢٠٢١.

(٢) هذه المعلومات مستقاة من تعريف كتبه الأب باسيليوس المقاري سنة ١٩٩٠ لحلقة الإعلام والاتصال بمجلس كنائس الشرق الأوسط.

الامتياز ورئيس التحرير للدكتور رؤوف جرجس (انظر إقرار التنازُل في آخر المقال)، وصدر ترخيص جديد للمجلة عام ١٩٦٢ باسم صاحب الامتياز ورئيس التحرير الجديد، على أن تُصدر عددَين كل شهر، أحدهما للأطفال والفتيان والآخر للشباب والخدام. فيُعتبر هذا التاريخ ١٩٦٢ هو التاريخ الفعلي لتأسيس مجلة مرقس في صورتها الحالية للشباب والخدام. ووصل توزيع المجلة إلى أقصاه حينذاك. فكانت مجلة الشباب يوزَّع منها حوالي ١٢ ألف نسخة، ومجلة الأطفال حوالي ٧ آلاف نسخة.

لم تستمر هذه الفترة طويلًا نظرًا للتكاليف الباهظة التي كانت تتطلَّبها طباعة مجلة الأطفال بالصور الملوَّنة، وقلَّة الموارد المالية، وعلى الأخص بعد حرب يونيو ١٩٦٧. فتوقَّفت مجلة الأطفال عن الصدور. وأصبحت المجلة تصدر مرَّة واحدة كل شهر للشباب فقط.

ولمَّا ترهَّب الدكتور رؤوف سنة ١٩٦٧م (الأب يوحنا المقاري)، تولَّى الأخ يسري لبيب أعباء إدارة المجلة، والذي بدوره ذهب للدير وترهَّب سنة ١٩٧٣ (الأب باسيليوس المقاري)، واستمر مع الأب يوحنا في الإشراف على المجلة.

كانت المجلة في بدايتها تُطبع في مطابع عامة، قبل أن يكون للدير مطبعة خاصة به، فكان الأب باسيليوس ينزل إلى القاهرة يوميًّا ويُتابع طباعتها، وأخيرًا يُحضرها معه للدير. واستمر هذا الوضع إلى أن رتَّب الله شراء ماكينة طباعة حديثة من ألمانيا ودبَّاسةً ومقصًا وماكينة تطبيق الملازم وماكينة خياطة الكُتب. وهكذا استطاع الدير، ولأول مرة، طباعة المجلة بالدير سنة ١٩٧٨. ومنذ ذلك الوقت ارتفع مستوى التنسيق والإخراج والطباعة. والحقُّ يُقال إنه يندر أن تجد في المجلة أخطاء إملائية أو نحوية بسبب المراجعات الدقيقة لمقالات المجلة. وإذا اكتُشِف خطأ في صفحةٍ ما، تُعدم الملزمة كلها.

لم يكن الأمر دائمًا سهلًا؛ فأعطال الماكينات واردة، ووصول المختصِّين للدير للإصلاح يأخذ وقتًا، كذلك مشاكل الورق والأحبار والمواد الخام ... ولكن الرب كان يتدخل دائمًا.

لعلَّ مما تفخر به المجلة هو أن الرهبان هم الذين يقومون بالإشراف الكامل على جميع مراحل الطباعة، بدءًا من عملية جمع المقالات على آلة Photo، ثم الكومبيوتر فيما بعد،

ثم المونتاج والطباعة على آلة الأوفسِت، ثم التطبيق والتخييط والتجليد.

دور مجلة مرقس في تواصل الأجيال المتعاقبة:

كان لهذه المجلة دور لا يُنكر في تشكيل وبناء العقل الجمعي القبطي طيلة هذه السنين، فقد أعادت إلى حدٍّ كبير تواصُل الجيل الحاضر بأجيال الكنيسة الأولى. كانت هناك للأسف فجوة كبيرة بين آباء الكنيسة في عصورها الأولى وبين الأجيال المعاصرة. وكان التعليم السائد في الكنيسة آتيًا إليها في معظمه من خلال الكُتُب الأجنبية المترجمة للعربية مثل: كتب متى هنري ووليم باركلي وغيرهما ... وقد تمَّ هذا التواصل من خلال التعريف بآباء الكنيسة وترجمة أقوالهم. وللمرة الأولى في تاريخ كنيستنا المعاصر، تُنشر مُقتطفات من هذه الأقوال باللغة الأصلية أي اليونانية، توثيقًا لدقة نقلها. وقد صارت المجلة بحقٍّ "رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام".

ويُذكر أن مجلة مرقس كانت أول من تواصَل مع أبناء الكنيسة القبطية المهاجرين في الخارج، وذلك من خلال تقديم مقالة منتظمة باللغة الإنجليزية للأب متى المسكين. فكانت مجلة مرقس لهؤلاء هي منبر التلاقي بين بلدهم مصر - وكنيستهم الأُم - وبين بلاد غربتهم.

نُخبة من خُدَّام وأراخنة الكنيسة ينشرون مقالاتهم في المجلة:

في الحقيقة، إن المجلة، ومنذ بدايتها، جمعت كوكبة متميزة من الخُدَّام المُباركين والذين صار بعضهم فيما بعد من كبار الخُدَّام والأراخنة الأتقياء، مثل: القديس القمص بيشوي كامل، الدكتور إميل عزيز (الأنبا موسى أسقف الشباب)، الأستاذ صبري يونان (القمص مكاري يونان)، القمص أيوب مسيحه (أسيوط)، الدكتور نصحي عبد الشهيد، الدكتور جميل نجيب، الدكتور وليم سليمان، الدكتور مراد وهبة، الأستاذة إيريس حبيب المصري، الدكتور طلعت عبده حنين، الإيبوذياكون رمسيس نجيب، الأستاذ سليمان نسيم وغيرهم كثيرين ... كذلك فتحت المجلة أبوابها لبعض الكُتَّاب من خارج الكنيسة القبطية مثل المطران جورج خضر، الأب ليف جيليه، الأستاذ كوستي بندلي، رئيس الأساقفة أنتوني بلوم، الأب عمانوئيل لان ... كانت بالحق مجلة مسكونية جامعة.

مجلة مرقس تنشر كتابات وعظات الأب متى المسكين:

لقد كانت مجلة مرقس هي المنبر الرئيسي الذي احتضن كتابات الأب متى المسكين منذ البداية. فالافتتاحية، دائمًا، هي لعظة من عظاته، أو فصل من كتاباته. كما أن المقالة الإنجليزية هي عن كلمة مُترجمة له. وكان الأب متى المسكين يُراجع التوجُّه العام للمجلة، ويريد أن يرفع مستواها، فيُشجِّع المقالات القوية الهادفة، وخاصة المبنية على فكر آبائي سليم، ويطلب أن تُعرض عليه قبل النشر، وأحيانًا كثيرة كان يزيد عليها بعض التوضيحات واللمسات الروحية، كما كان حريصًا على الحد من تكرار المقالات غير الهادفة.

وقد ساهم الأنبا إبيفانيوس من قبل أن يصير أسقفًا في النهضة بمستوى مجلة مرقس، وكان له بابٌ بعنوان: "عظات وكلمات روحية"، وسلسلة مقالات بعنوان: "مفاهيم إنجيلية" (صدرت كتابًا فيما بعد). وعندما تولَّى رئاسة الدير، شهدت المجلة تجديدًا وتنوُّعًا كبيرًا في الموضوعات، فقد نُشرت فيها كلماته في الندوات والمؤتمرات التي كان يحضرها بتكليف من قداسة البابا تواضروس الثاني.

المنهج الروحي للمجلة:

في الحقيقة، إن المجلة، ومنذ بدايتها الأولى، قد انتهجت خطًا آبائيًا كنسيًا واضحًا لم تَحِدْ عنه، وكان همُّها هو البناء الروحي والتثقيف الفكري والتعليم الأرثوذكسي، ولم تدخل في مجادلات أو دفاع عن أشخاص ... كانت تنأى بنفسها تمامًا عن مثل هذه الأمور التي ليست للبنيان. كذلك لم تكن مجلة إعلانات وأخبار.

عاشت المجلة الأعياد والمناسبات الكنسية مع القارئ، واحتفلت بأعياد القديسين، وشرحت معنى ودلالة الطقوس الكنسية، وأجابت على أسئلة القُرَّاء وأحالت بعضها للمُختصِّين. فكانت بالحق مجلة الشباب والخُدَّام. نعم كانت وما تزال وجبة روحية دسمة.

المواضيع الأساسية التي تناولتها المجلة:

وقد تعدَّدت وتنوَّعت المواضيع التي تطرقت إليها المجلة. وبرغم مرور سنين كثيرة إلَّا أن كثيرًا منها يظلُّ حيًّا لا يتقادم، وتستطيع أن تقرأه وتنتفع به إلى الآن. ولعل أبرز المواضيع التي تناولتها والتي لم يخلُ منها عدد واحد هي: الكتاب المقدس وآباء الكنيسة.

فبالنسبة للكتاب المقدس، هناك سلاسل كاملة تحوي عناوين: "سؤال من الكتاب المقدس"، "دراسات من الكتاب المقدس"، "الكتاب المقدس عند الآباء"، "تطبيقات على دراسة الكتاب المقدس"، "شرح الرسالة إلى العبرانيين"، "فترة ما بين العهدين"، "مقدمات الأسفار المقدسة"، "أسفار موسى الخمسة"، "الترجمة السبعينية"، "دراسة عن الأسفار القانونية الثانية"... وغير ذلك كثير. وبعض هذه المواضيع صدرت فيما بعد مجموعةً في كتب عن مطبعة الدير أو كُتيبات صغيرة عن دار مجلة مرقس.

وبالنسبة لآباء الكنيسة، في الحقيقة كانت المجلة رائدة في توثيق إيمان الكنيسة وإخراجه للنور، وذلك بالتعريف بآباء الكنيسة الأوائل وترجمة أقوالهم، بل ونشر بعضها باليونانية ومعها الترجمة الإنجليزية مع الترجمة العربية عن الأصل اليوناني. وما من عدد يصدر إلَّا وتجد فيه أكثر من موضوع آبائي، مثل: "الصلاة الربَّانية وشروحاتها عند الآباء"، "الكنيسة جسد المسيح"، "الآباء الكبادوك"، "شرح ذهبي الفم لرسالة رومية"، "تربية الأطفال لذهبي الفم"، "الخلاص الثمين عند الآباء"، "حكمة آباء الرهبنة في مصر ليوحنا كاسيان"، بالإضافة لكثير من المواضيع الأخرى.

دراسة تاريخ الكنيسة وموضوعات تهم الخدمة والشباب:

قدَّمت المجلة دراسة ضخمة عن تاريخ المسيحية وبالأخص عن كنيستنا القبطية في مصر منذ بداية دخول مار مرقس الإسكندرية في القرن الأول حتى منتصف القرن العشرين، وذلك من سنة ١٩٩٤ حتى سنة ٢٠٢٢ م، أي طوال ٢٨ سنة، في ١٩٠ عددًا. وقد جُمعت فيما بعد معظم هذه الدراسات في ثلاثة مجلدات غطَّت تاريخ الكنيسة من القرن الأول إلى القرن السابع عشر.

ومن المواضيع التي اهتمَّت بها المجلة، وخصوصًا في سنواتها الأولى، موضوعات: "الخدمة"، "والتربية الكنسية"، "المسيح والشباب"، "مع إخوتنا الخدام"، "رسائل للشباب"... لا سيما أن الذي كان يكتب في هذه المواضيع كبار الخُدَّام في الكنيسة.

هذا بالإضافة إلى أبواب ومواضيع أخرى مثل: "الكنيسة هذا الشهر"، "حول العالم"، "في المناسبات الكنسية"، "مقال مترجم"، "أبحاث تاريخية"، "موضوعات روحية

وكتابية"، "مقتبسات من كتب"، "فصول في التقليد الكنسي"، "نصوص ودراسات ليتورجية"، "يوميات الحاجة إيثيريا"، "خبرات روحية معاصرة"، "تأملات روحية"، "طعام الأقوياء"، "تأملات في شخص المسيح الحي"...

لعل من أحب الأبواب لأي قارئ هو "القصة"، وقد قدَّمت المجلة كثيرًا من القصص، مثل: سلسلة "قصص رمزية"، "قصص من واقع الحياة"، كذلك "خبرات روحية معاصرة"... وقد لاقت هذه القصص استحسانًا كبيرًا، وطُبعت ككتيبات مراتٍ عديدة.

تفاعُل المجلة مع الأحداث الوطنية:

لم تكن المجلة بعيدة عن الأحداث الوطنية الجارية، فهي دائمًا في قلب الحدث، ولا يمكنها أن تتغافل عمَّا يحدث في بلدها الحبيب مصر، فهي تنشر مقالة تهنئة بالعيد الخامس عشر لثورة ٢٣ يوليو. وتكتب رسالة رثاء طويلة في وفاة الرئيس جمال عبد الناصر. وتتفاعل مع حرب أكتوبر المجيدة. وتقتبس بيانًا للبابا شنودة الثالث عن المعركة. وتُقدِّم بحثًا في أن المسيحية تدحض الصهيونية. وتورد عددًا خاصًا بمناسبة زيارة السادات لدير سانت كاترين. وترثي الرئيس السادات وتدعو للرئيس مبارك. وتكتب عن أحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، ٣٠ يونية ٢٠١٣. وتنعي "شهداء الوطن والإيمان" من الأقباط الذين استُشهدوا بليبيا، وشهداء الكنيسة البطرسية، وحادثة استشهاد زوار دير القديس أنبا صموئيل المعترف. وتستعرض زيارة البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان وكذلك زيارة البابا فرنسيس إلى مصر.

التزمت المجلة في غلافيها بوضع صورة تقليدية أو أيقونة آبائية أثرية للمناسبة التي تعيشها الكنيسة في هذا الشهر، مأخوذة من أحد المتاحف أو الكنائس القديمة في الشرق أو الغرب.

وقد تشرَّفت المجلة في السنة الأخيرة بمقالة شهرية منتظمة لقداسة البابا تواضروس الثاني لتفتتح بها العدد.

وتأمل المجلة في الفترة القادمة أن تُقدِّم مواضيع أخرى حياتية، وأن تتواصل مع القُرَّاء وتُجيب على أسئلتهم واقتراحاتهم.